



■ أحمد عبد الحسين قرطاس

## عن السياسيِّ الكنفر

قيل قديماً: "السياسة فنّ الممكن".

مؤكد أنّ من قالها سياسيٌّ كان يدافع عن قلباته التي لا يحكمها موقف، يدافع عن موقع أقدامه الذي يتغير باستمرار، عن مصلحة شخصية له وجدها اليوم هنا، وسيجدها غداً في مكانٍ آخر، ومضتِ الكلمة تزداد شيوعاً حتى عدت تعريفاً جامعاً مانعاً للسياسة في كل وقت ومكان، إلى أن جعلت السياسة الاسم الآخر للانتهازية.

فهم كهذا ينفع السياسيِّ اللاعب على الحبال، فمهنته أن يكون بسبعة وجوه وبلا موقف، لكنّ سياسيين كثراً مضوا بهذا الفهم إلى أقصى تخومه بحيث باتت السياسة عندهم فنّ اللاممكن لفرط انتهازيّتهم وعدم ثباتهم ولو على الحدِّ الأدنى الذي يحفظ لهم مقال نرة من صدق. يحدث ذلك لدى السياسيين الذين يمتلكون جمهوراً غيبياً أو يظنونته أنه كذلك "أو جمهوراً بلا ذاكرة، أو جمهوراً يعبد صورة هذا السياسيِّ بحيث يراه شمسا والشعب زهرة عباد الشمس التي لا تمك إلا أن تدور معه حينما دار.

بخاطر هذا السياسيِّ باجتراح تعريف جديد للسياسة مؤداه أنها "فنّ النط"، ويغدو السياسيِّ حينها نطاطا، كنفراً يتقافز هنا وهناك من موقف إلى آخر مضاداً، وجمهوره معه يصفق له ويهلل مع كل نطة ينطها السياسيُّ الفذّ.

منذ بدء الأزمة السورية كانت حكومة العراق ضدّ الثورة، قال المالكي مرة: "لا نريد أن يسقط نظام الأسد" متسانلاً بغضبٍ ولماذا يسقط"، وسمى الثوار عصابيات وتابعه على ذلك مستشاروه والناطقون باسمه.

حتى قبل يومين، يومين فقط لا أكثر، منع علي الديباغ "الناطق باسم الحكومة اللاتجنّيب السوريين من دخول العراق، وبعد ساعات فقط من هذا الإعلان سمح المالكي لهم بالدخول، قلنا إن ضغوطاً إعلامية وشعبية فرضت عليه ذلك وشكرنا له ونصّبه الذي فهمناه باعتباره فضيلة الاعتراف بالخطأ وتصحيحه.

كل هذا يدخل ضمن "فنّ الممكن" أي في حيزِ الانتهازية المسماة سياسة، لكنّ ما هو غير ممكن ومتجاوز لحدود المعقول أن يعلن الديباغ نفسه أمس أن نظام الأسد يجب أن يسقط، ليس هذا فحسب، بل أن ينتهي جنزياً حسب وصفه.

لا أعرف سرّ هذه القدرة على تغيير الخنادق بسرعة البرق، مع أنني أتوقع أن يتغير هذا الموقف أيضا اليوم أو غدا، وسرى الديباغ أو سواء في مكانٍ آخر لا نتوقعه. لا أوّمن بتناسخ الأرواح لكني بدأت الآن أقتنع بالفكرة شيئا فشيئا، ويخيل لي أن بعض الساسة العراقيين كانوا في حياتهم الساقطة كناغر، وأرجهم الله لنا على هيئة بنس، وجعلهم سياسيين أثرياء يخضون مال الله خضم الأبل نبيّة الربيع، لكن في أعماقهم لم تزل الحالة الكنفرية شغالة وإن بشكل خفيّ، وها هم ينطون من موقف لآخر، من ساحة لأخرى ومن خندق لخنق مضاد. كلما ذهبت إلى حديقة الزوراء، في المكان الذي يضعون فيه الكناغر المسالمة التي يحبها ابني الصغير، أغرق في التأمل، وحين يسألني ابني عن سرّ استغراقي وشرودي أجيبه: انظرْ بيّا بيّا إلى هذا الكنفر الوديع، يوما ما بعد سنين ستره ناطقا رسيا باسم حكومة مقبلة.

## الرأي

# بريماكوف ورؤيته قضايا الشرق الأوسط

**الجدل الساخن الذي انفجر فجأة من على منبر "المنتدى الاقتصادي الدولي" الذي جرت أعماله مؤخرا في العاصمة التاريخية الروسية "بطرسبورغ" بين "الخبير الأول" بشؤون الشرق الأوسط كما يلقبونه بروسيا يفجيني بريماكوف ووزير الخارجية الأمريكي صاحب سيناريوهات صناعة السلام الانفرادي في الشرق الأوسط هنري كيسنجر، عكس مدى عمق هوة الخلافات في رؤية الدوائر السياسية الروسية والأمريكية لشؤون الشرق الأوسط وسبل معالجتها، وإن كل طرف ينظر بعدم ثقة لتوايا الآخر الرامية أساسا لترسيخ مواقعه في المنطقة الإستراتيجية التي تحولت على مدى عقود إلى ميدان لتنازع المصالح والصراع لبسط النفوذ.**



تباين في رؤية روسيا للربيع العربي

ظروفا للتطوير لإقامة العلاقات الاقتصادية، مما حظي بأهمية بالنسبة للولايات المتحدة وروسيا. ويؤكد بريماكوف في كتابه الجديد على ظهور عنصر جديد أثر على الوضع في المنطقة في بداية القرن الحادي والعشرين. وعلى حد قوله فإن الولايات المتحدة وبتأثير المحافظين الجدد انتهجت بعد انتهاء "الحرب الباردة" سياسة إقامة نظام القطب الواحد في العالم الذي كان فاتحة مرحلة "التدخل"، وأصبحت العملية العسكرية الأمريكية في العراق نموذجا تقليديا لهذا التوجه.وكانت إحدى نتائج هذه العملية تحول إيران إلى دولة إقليمية نافذة، والأخر تسعير الخلفات الطاقفية، وظهور اصطفاقات إقليمية جديدة في المنطقة. إن الربيع العربي، على وفق ما يري بريماكوف، الذي هبت عواصفه على المنطقة في بداية عام ٢٠١٢ وأسفر عن رحيل بعض الأنظمة، قد اتخذ أشكالا متنوعة، فالوضع

نجحت بتنفيذ إجراءات مؤقتة كانت كما يرى، ضرورية لتحريك التسوية العربية/الإسرائيلية مثل عقد اتفاقية السلام المصرية/الإسرائيلية والأردنية/الإسرائيلية والتقارب المنقطع، بين فلسطين وإسرائيل.

وبالتالي يرصد المؤلف تحول الأنظمة التي وصفت بالثورية الوطنية في بلدان الشرق الأوسط إلى أنظمة شمولية سعت لترسيخ سلطاتها بوسائل القوة، وان طابع الأنظمة العربية تلك لقيت ارتياح الولايات المتحدة وروسيا التي أصبحت وريثة الاتحاد السوفياتي السابق، وقامت هناك براهية مساحة تطابق فيها مصالح الدولتين، لأن تلك الأنظمة وقفت ضد التطرف الديني وحرابت الإرهاب ورفضت إفساح المجال لتتواجد على أرضها "القاعدة" وغيرها من المنظمات التي تتبنى الإرهاب. وحسب تقييم بريماكوف فإن الأنظمة الشمولية هيأت

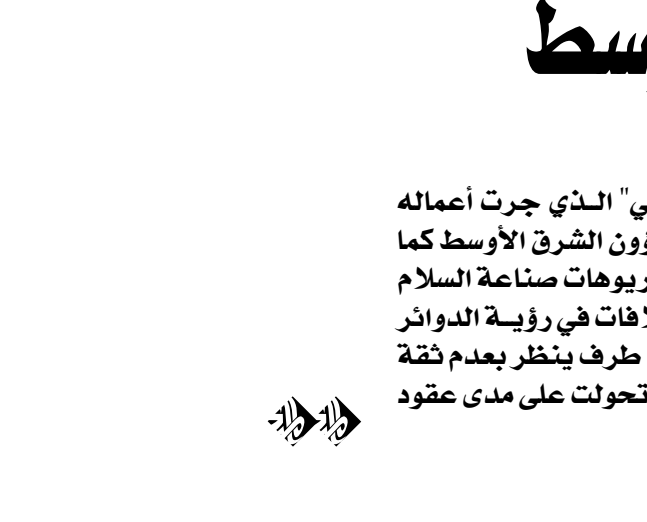
من الأسواق.وشملت الطبعة الأولى لكتاب "الشرق الأوسط" النصف الثاني للقرن العشرين. أي مرحلة إقامة الدول ذات السيادة في العالم العربي، حين ظهر زعماء شفرة الأثيار. وعلى حد قناعة بريماكوف من أن هذا سيجري حتما في سوريا حال

ما سيرحل الرئيس بشار الأسد: وذهب إلى أن مجموعة المنشق البلشفي ليف ترونسكي كانت قد دعت في عشرينات القرن الماضي إلى تصدير الثورة البلشفية للدول الأجنبية لاستمرارها، وأضاف "وإن تعيد الولايات المتحدة نفس الخطأ، حينما تريد تصدير الديمقراطية".

وكان بريماكوف قد أعاد قبل فترة طبع كتابه "الشرق الأوسط: على المسرح وخلف الكواليس" الذي أجمل فيه رؤيته قضايا المنطقة الراهنة،مضيفا له فصولا تعكس رؤيته التطورات العاصفة التي شهدهتها المنطقة والتي أطلق عليها "الربيع العربي" بعد صدور الكتاب ونفاذه بسرعة

العدد (2547) السنة التاسعة - الخميس (26) تموز 2012

العدد (2547) السنة التاسعة - الخميس (26) تموز 2012



في ليبيا وسوريا لم يتأطر في "الربيع العربي" كتورات مخملية، فالظواهرات المعارضة لأنظمة هناك التجأت مباشرة للسلاح في مواجهة القوات الحكومية. إن الولايات المتحدة والناثو استخداما للوضع الناشب هناك لعدم إتاحة الفرصة لانحصار الأنظمة هناك غير المرغوب بها لهذا السبب أو ذاك، وحسب تقديره، ويتفق معه بهذا الشأن غالبية الخبراء الروس، بأنه وعلى الصعيد السياسي فقد انتزعت المنظمات الإسلامية من الشارع في مصر وتونس المبادرة الثورية، وإن مستقبل البلدين سيعود لحد بعيد إلى العلاقات التي ستقوم بين من يصصفهم بالعتدلين والرايكالبيين الإسلاميين.إلى جانب ذلك فإن الولايات المتحد تقيم الصلات الرسمية مع المنظمات الإسلامية المعتدلة. ويتكهن انه وعلى الرغم من نقل وظائف السلطة في مصر إلى السلطات المدنية إلا أن الجيش، وكالسابق، سيلعب دورا كبيرا. ويستنتج من أن استئناف الولايات المتحدة المساعدات العسكرية المالية لمصر بحجم ١,٣ مليار دولار كان من أجل أن لا تتعرض نتائج "الربيع العربي" سلبا أو حتى تقوض الخطوات الجزئية على صعيد التسوية العربية .الإسرائيلية.

ويرى بريماكوف أن "الربيع العربي" اضعف خطوات التسوية العربية الإسرائيلية وألقى عليها الظلال لكنه مفتح تماما بان النزاع ممكن أن يخفجر لتنعكس تداعياته ليس على الشرق الأوسط وحسب وإنما على خارجة، ويقول إن الجميع، وباستثناء أقلية من الأنشاص، باتت تدرك بان التسوية مشروطة وحسب بإقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما أشار قرار التقسيم الدولي عام ١٩٤٧ عن إقامة دولتين على الأرض الفلسطينية. هكذا يرى السياسي المخضرم وصاحب الهام السرية والعلنية بريماكوف حال وأفاق التطورات في المنطقة.

**\* إعلامي عربي يقيم في موسكو**

## إعلام خائف



ثمة تنويه بارز تستخدمه الصحف والمواقع الإلكترونية هو العبارة الآتية: المقالات المنشورة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها، لكنها عبارة يتم توظيفها للهروب من الحقيقة، فالملوم ينشر هذه الآراء مستهدفا إسقاط خصومه بالخربة القاضية .

هكذا دأبت هذه الجهات على ممارسة سياسة تمويهية ضمن فضاء إعلامي خائف يسوده الرب، وتنتشر عبر ساحته معركة ساخنة يقودها عدد من التجار الممولين الحريصين قبل كل شيء على حماية مصالحهم ، نخلص مما مضى إلى أن الإعلام الحر مهمش جدا ، ويسود عوضا عنه الإعلام التجارى الذي يحرص مصالحي الممولين ، ويهمل مصالحي الشعوب ، أو هو إعلام يحافظ على رساميل السياسيين الكبار ورجال الأعمال والشركات الكبرى والحكومات المستبدة ، حتى تلك التي تتظاهر باحترام حقوق الإنسان ، ولا تقتصر عملية الحماية والحراسة على هذه النقطة ، بل تتضمن المشاركة في تضيئة هذه الرساميل ، معنى ذلك أن هذه الجهات الإعلامية تساهم في عملية احتكار الثروة وتعزيز سلطة الأحزاب والطوائف المنتفذة سياسيا والدفاع عن الحكومات الدكتاتورية ، وتساهم أيضا في مسلسل إلحاق الضرر بفقراء العالم . الإعلام هذا ليس إعلام الشعوب الفقيرة الطامحة إلى الخلاص من نير الاستبداد والظلم ، بل هو إعلام الاستبداد .

فمثلا تشهد منطقة الشرق الأوسط إعلامية من قبل مختلف وسائل الإعلام ظاهرها التعاطف مع الشعوب وقضاياها العادلة ، لكن حقيقتها الخفية أنها معركة بين دول وبلدان كبرى وصغرى ، فالإعلام البارد هذا يشن حملة واسعة النطاق لتغيير خارطة المنطقة .مركزا على الصراع السوري الداخلي ، مستعرضا نقاط ضعف النظام السوري والعلمنة كامرأة سياسة القمع التي يستعين بها لكبح معارضيه لكنه لا يتطرق لأعمال العنف التي قام ويقوم بها المعارضون ضد الجيش والشعب السوري .لذلك هو إعلام يبرز جانبا من وجه الواقع مخفيا الوجه الآخر منه .

وقد استعان هذا الإعلام بأساليب متعددة لإنذاء المعركة في سوريا منها إثارة الفتن الطائفية ، ونقل الصورة ناقصة عن الوضع في سوريا ليتم تسويقها عبر وسائل الإعلام الدولية ووكالات الأنباء الدولية ، حتى تتخذ شعوب العالم الأول والثاني والثالث وتتخذ موقف الداعم للمعارضين السوريين .

أما بالنسبة للواقع العراقي السياسي فالصورة مشابهة ،فالإعلام العراقي نو جنبتيّن الأولى أنه إعلام طوائف وأحزاب يساهم في الدفاع عن مصالح هذه الفئات مثيرا بعض الأحيان الصراعات السياسية الساخنة ، والجنبنة الثانية أنه إعلام يساهم في إبراز معاناة المواطنين لكن تأثيره متواضع جدا فمعاناة المواطنين لا تزال كما هي رغم التغيير الطفيف الذي طرأ عليها .

إن من أولويات العمل السياسي في الوقت الحاضر وفي المستقبل في العراق ؛ حماية الإعلام الحر رغم أنه يتضاد مع مصالح الأحزاب والطوائف في العراق ، لتقويم التجربة السياسية وتطوير آلياتها لتصل إلى مستوى متقدم يتشبه تجارب الشعوب الديمقراطية في العالم الأول .

# الفقر والبطاقة التموينية في العراق



مفردات البطاقة التموينية بحاجة الى تغيير جذري

- استمرار شمول الفئات التي تصنف تحت خط الفقر في العراق، وهي حسب الإحصائية الرسمية ٢٣٪ من السكان، ولنقل ربع سكان العراق، يضاف إليها مثلا ١٠٪ ممن هم فوق خط الفقر المنكور، والمقدر بحوالي دولارين في اليوم، أي تغطية حوالي ٣٥٪ من السكان بالبطاقة التموينية.
- حجب البطاقة التموينية عن المستفيدين الآخرين نظرا لارتفاع النسبي بمستويات دخلهم المادي.
- توجه الحاسم لشراء مفردات البطاقة التموينية من السوق المحلي ومنع استيراد أية مادة من تلك المفردات من الخارج إذا كانت متوفرة أو منتجة محليا بنوعية مشابهة لما يتم استيراده.
- تطبيق صارم وعادل لأنظمة الرعاية الاجتماعية وتحقيق درجة معقولة من شبكات الأمان الاجتماعي التي تمنع تعرض العوائل العراقية للعوز والجوع وتؤمن لهم حياة كريمة إلى حين الاندماج مجددا بالعمل المنتج.
- العمل الجاد على التخلي عن تقديم المواد الغذائية مباشرة للمواطنين المشمولين بنظام البطاقة التموينية واستبدال ذلك بتقديم قسائم (مستندات) بمبالغ تلك المواد يتاح معها للمستفيدين شراء السلع الغذائية من أي مصدر آخر.

لاشك في أن هناك الكثير من الأفكار والإجراءات التي يمكن إيرادها ولكن الفكرة الأساسية هي في تحويل الموارد المالية الكبيرة التي أنفقت وستنفق على توفيره لهم مفردات البطاقة التموينية. أي أن نظام تقديم المساعدات الغذائية للسكان (البطاقة التموينية) بحاجة إلى تغيير جذري يتضمن على الأقل ماياتي:

عام ٢٠٠٣ لم يسمح بتحقيق النهضة الاقتصادية المتبغاة في قطاعات الاقتصاد المختلفة ومنها القطاع الزراعي، بالرغم من الاهتمام الخاص من قبل الحكومة بالزراعة.متمثلا بالمبادرة الزراعية التي وفرت موارد مالية إضافية للقطاع الزراعي خارج الموازنة السنوية لوزارتي الزراعة والموارد المائية، وحصل التحول المفاجئ من الاقتصاد المركزي الموجه والمكبوح بقرارات فوقية ليست لها صلة بواقع السوق المحلي إلى انفتاح منفلت لم يتح معه لعوامل السوق أن تفعل فعلها بإعادة التوازن إلى سوق الغذاء.

كما استمر استخدام نظام البطاقة التموينية لكبح تأثير، أو للتعويض عن، ارتفاع أسعار الغذاء وتقلبات السوق والحد من نفثسي الجوع بعد سقوط الحروب والمقاطعة الاقتصادية الخائقة. من الواضح أن استمرار استخدام نظام البطاقة التموينية في الظروف الجديدة

تم تحطيمها كليا، وفشلت فيها التنمية وتفشى بها الفقر والجوع. وقد ظهر ذلك جليا في المرحلة الثانية من حكم البعث عندما انفرد صدام حسين بالحكم وقاد البلاد من حرب طاحنة إلى أخرى، بعد أن شهدت فترة حكم البكر تغيرا محسوسا في مستوى معيشة السكان نتيجة ارتفاع مداخيل البلاد من الثروة النفطية.

لقد انحدرت مستويات العيشة بشكل مفعج في العقد الأخير من حكم البعث إلى الحد الذي صنف فيه حوالي ٥٠٪ من السكان دون خط الفقر في العام ٢٠٠٣. أما النصف الآخر من المجتمع فقد أسى هامشيا وغير منتج اقتصاديا في الغالب، وتوقفت عجلة التطور ودمرت البنى التحتية والمصانع والمزارع وتراجعت العراق إلى مستوياتها الدنيا، وأصبح العراق مستوردا خالصا للأغذية بعد أن كان مكتفيا إلى حد كبير بالمنتج الزراعي المحلي.كما أن الوضع السياسي والاقتصادي والأمني في العراق منذ